مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٢: ١–١١)

لمَّا حلَّ يومُ الخمسين كان الرسلُ كلُّهم معاً في مكانٍ واحد* فحدث بغتةً صوتٌ من السماءِ كصوتِ ريحٍ شديدةٍ تَعصِفُ وملأَ كلَّ البيت الذي كانوا جالسينَ فيه* وظهرت لهم ألسِنةٌ متقسِّمةٌ كأنَّها من نارٍ فاستقرَّت على كلٍّ واحدٍ منهم* فامتلأوا كلُّهم من الروحِ القدسِ وطفِقوا يتكلَّمون بلُغاتٍ أخرى كما أعطاهم الروحُ أن ينطِقوا* وكان في أورشليمَ رجالٌ يهودٌ أتقياءُ من كلِّ أمَّةٍ تحت السماءِ* فلمَّا صار هذا الصوتُ اجتمع الجمهورُ فتحيَّروا لأنَّ كلَّ واحدٍ كان يسمعُهم ينطِقون بلغتِه* فدهِشوا جميعُهم وتعجَّبوا قائلينَ بعضُهم لبعضٍ أليس هؤلاءِ المتكلِّمونَ كلُّهم جليليين* فكيف نسمعُ كلٌّ منَّا لغته التي وُلد فيها* نحن الفرتيين والماديينَ والعيلاميينَ وسكَّان ما بين النهرين واليهودية

ثمرة الروح

لقرون عدة، ومنذ تأسيس الكنيسة في العالم في اليوم الخمسين بعد قيامة الرب يسوع من بين الأموات، ما زال الروح القدس يلهم المؤمنين على الدوام ويمنحهم كل ما يلزمهم من نِعَم روحية لأجل خلاصهم. أولى هذه النِعَم عدم الخوف والشجاعة التي حلت على الرسل بعد أن انحدر الروح القدس عليهم يوم العنصرة، وقد ظهر ذلك جليًا إذ تغيّر موقف الرسل المجتمعين في العلية خوفًا من اليهود.

العدد ٢٠١١/٢٤

الأحد ١٢ حزيران

أحد العنصرة

تذكار أبوينا القديسين أُنوفريوس وبطرس الذي كان في جبل آثوس

لقد انعكس موقف الخوف والشك لدى الرسل وتحوّل إلى إيمان وشجاعة لتبشير كل الشعوب. لحظة امتلأ الجمع من الروح القدس ابتدأوا يتكلمون ويبشرون بإنجيل المسيح. بعد القيامة وقبل العنصرة، ورغم إيمانهم بقيامة الرب، لم يُظهر الرسل شجاعة في التبشير به، بل كانوا يخافون مواجهة الناس وبدء المهمة الموكلة إليهم. «لما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم» (يو ٢٠:١٩). منذ لحظة تسليم المسيح أظهر الرسل ضعفًا، لا بل عدم قدرة على مواجهة الاتهامات الكاذبة والافتراءات على الإيمان الجديد. بعضهم تشتت واختفى واختبأ. ألم يقل الرب يسوع قبل صلبه: «كلّكم تشكّون فيّ في هذه الليلة لأنه مكتوب اني أضرب الراعي فتتبدّد خراف الرعية» (متى ٢٦:٣١). حتى الرسول بطرس، الصخرة، أنكره ثلاثًا وقال«بقسم إني لست أعرف الرجل» (متى ٢٦:٧٢).

هذه كانت حال الرسل والتلاميذ الآخرين لغاية يوم العنصرة، يوم انحدر عليهم الروح القدس بشكل ألسنة نارية. كل الخوف والشك الذي فيهم تحوّل إلى شجاعة وإيمان صلب. تذكروا كل ما علّمهم إياه الرب، وصارت قناعاتهم راسخة وثابتة، بل وصارت هذه القناعات موضوع بشارتهم. هذه القوّة المحوِّلة آتية من الروح القدس الذي حلّ عليهم. فالروح هو الذي يذكرهم بالرسالة المسيحية التي عليهم أن ينقلوها. ألم يقل لهم الرب يسوع قبل الصلب:

وكبادوكية وبُنطُس وآسِيَة* وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية عند القيْروان والرومانيين المستوطنين* واليهودَ والدخلاء والكريتيين والعرب نسمعهم ينطِقون بألسنِتنا بعظائِم الله.

الإنجيل

(يوحنا ٧: ٣٧–٥٢)

في اليوم الآخر العظيم من العيد كان يسوعُ واقفاً فصاح قائلاً إن عطِشَ أحدٌ فليأتِ إليَّ ويشرَب* مَن آمن بي فكما قال الكتابُ ستجري من بطنه أنهارُ ماءٍ حيٍّ* (إنَّما قال هذا عن الروحِ الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه إذ لم يكنِ الروحَ القدسَ بعدُ. لأنَّ يسوعَ لم يكن بعدُ قد مُجِّدَ)* فكثيرون من الجمعِ لمَّا سمعوا كلامَهُ قالوا هذا بالحقيقةِ هو النبيُّ. وقال آخرون هذا هو المسيح* وآخرون قالوا ألعلَّ المسيحَ من الجليلِ يأتي* ألم يقل الكتابُ إنَّه من نسلِ داودَ من بيتَ لحمَ القريةِ حيث كان داودُ يأتي المسيحُ* فحدث شقاقٌ بين الجمع من أجلِه* وكان قومٌ منهم يريدون أن يُمسِكوهُ ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه يداً* فجاء الخُدَّامُ إلى رؤساءِ الكهنةِ والفريسيين فقال هؤلاء

«لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي. ولكن إن ذهبت أُرسله إليكم» (يو ١٦:٧)، «وأما المعزّي الروح القدس الذي سيُرسله الآب باسمي فهو يعلّمكم كلَّ شيء ويذكّركم بكلِّ ما قلته لكم» (يو ١٤:٢٦)، «ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء» (يو ١٥:٢٦–٢٧). وَعْدُ الرب لتلاميذه بأنه سيرسل لهم الروح القدس تحقق يوم العنصرة، ومعه تحققت أيضًا المفاعيل المتأتية من حلول الروح القدس عليهم أي أن يخرجوا ويشهدوا للرب لدى اليهود وجميع الأمم. فالخوف الذي كان اعتراهم عند تسليم الرب وصلبه وموته ولم يستطيعوا تجاوزه رغم مشاهدتهم إياه قائمًا من بين الأموات، تخطوه وامتلأوا جرأة وشجاعة عندما حلّ الروح القدس عليهم «وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (أع ٢:٤). صاروا «يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله» (أع ٢:١١).

إذًا، يوم العنصرة ابتدأ الرسل مهمتهم في تبشير المسكونة لكي ينالوا الخلاص. لذا فإننا نعتبر يوم العنصرة هو يوم ميلاد أو تأسيس، الكنيسة على الأرض. إذ إن مهمة الكنيسة هي التبشير بتعاليم الرب يسوع وبالخلاص الذي جلبه المسيح للبشر. نقرأ في أعمال الرسل أنه عندما ابتدأ الرسل يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا كان في أورشليم يهود من مختلف أصقاع المسكونة فصار كل واحد منهم «يسمعهم يتكلمون بلغته فتحيَّر الجميع... وارتابوا قائلين بعضهم لبعض ما عسى أن يكون هذا» (٢:٦ و١٢). المدهش في الأمر هو إما أن الرسل الجليليين الأمّيين نطقوا بلغات مختلف الشعوب الموجودة هناك، وإما أنهم استعملوا لغتهم الجليلية والشعوب فهموا كل واحد بحسب لغته. في الحالتين الأمر عجائبي. والعجيبة هنا تكمن في قوة الروح القدس المحوّلة الرسول من الخوف والشك إلى الشجاعة والجرأة بالبشارة، وفي فهم الشعوب لما يقوله الرسل.

ولما استهزأ البعض بالرسل وقالوا «أنهم قد امتلأوا سلافةً (أفضل الخمر)» (٢:١٣)، أي سكروا، وقف بطرس وقال لهم إن ما يحصل هو عمل الروح القدس فيهم (٢: ٢٢–٣١)، إذ لا يعقل أن يسكر الإنسان في الصباح (٢: ١٤–٢١). ثم ابتدأ يبشرهم بالرب يسوع وذكّرهم بالعجائب والآيات التي قام بها الرب، وكيف صُلب وقام «بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق». وختم مرافعته بالقولَ «فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا» (٢: ٣٦). بطرس الذي أنكر الرب سابقًا، بعد حلول الروح القدس، يعلنه ربًا ومسيحًا. سأل السامعون بطرس «ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة. فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس ... فقبلوا كلامه بفرح وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس» (٢:٣٧–٣٨ و٤١). تابع الرسل مهمتهم بقوة الروح «وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون» (٢:٤٧).

هذا الروح نفسه الذي حلّ على

لـهـم لِـمَ لم تـأتـوا بـه* فأجاب الخدَّامُ لم يتكلَّم قطُّ إنسـانٌ هـكـذا مـثـلَ هـذا الإنسـان* فـأجـابـهـم الـفريسـيـون ألعلَّكم أنتم أيضاً قد ضَلَلْتُم* هل أحدٌ مـن الـرؤسـاءِ أو مـن الـفريسيين آمن بـه* أمَّـا هـؤلاء الجمعُ الـذيـن لا يـعرفـون الـنـامـوسَ فـهم مـلـعـونـون* فـقـال لـهم نيـقـوديمُس الذي كـان قد جـاء إليـه لـيلاً وهـو واحدٌ منهم* ألعلَّ ناموسَنا يدينُ إنسـانـاً إن لم يسمـع مـنـه أولاً ويعلَم ما فعل* أجابوا وقالوا له ألعلَّكَ أنت أيضاً مـن الجليـل. إبحث وانظر إنَّه لم يَقُم نبيٌّ من الجليل* ثـم كـلَّـمَـهـم أيضـاً يسوعُ قائلاً أنا هو نورُ العالَم مَن يـتـبَـعـنـي فـلا يمشي في الـظـلام بـل يـكـونُ لـه نـورُ الحياة.

تأمل

لنرجـع إلى الـكـتب الإلـهـيـة ولـنـشـرب مـن ينبوع آبارنا. لنشرب من الماء الحي الذي «ينبع إلى حيـاة أبـديـة» (يو٤:١٤). والماء الحي هـو «الـروح الـذي كـان المؤمـنـون بـه مـزمـعين أن يـقـبـلـوه» (يو ٧:٣٩). فـالرب يقول: «مَنْ آمن بي ستجري من بطنه أنـهـار مـاء حـي» (يـو ٧:٣٨). لا أنـهـار مـاديـة تـروي الأرض الـتي تـنبت

الـرسـل يـوم الـعنصرة هـو الذي آزر الشهداء في القرون الأولى وقوّاهم في جهادهم لاحتمال المشقات من أجل إنجيل الرب، وهو الذي يقوّينا نحن اليوم أيضا في مسيرتنا نحو الملكوت. ألم ينل كل واحد فينا عطية الروح القدس يوم معموديتنا عندما مُسحنا بالميرون المقدس وصرنا مسحاء؟ مسؤوليتنا كبيرة، إكليريكيين وعلمانيين، أن ندع الروح القدس يعمل فينا لكي ننقل بشارة الخلاص لكل من هو بحاجة للخلاص. والأهم أن لا نكون عثرة للآخرين ونقودهم إلى جهنم لأننا، لا سمح الله، قد نطمر نعمة الروح القدس التي نلناها ولا نثمرها، أو قد نسيء استعمال النِعَم التي منحنا إياها الله.

عطايا الروح القدس بحسب القديس إينوكنديوس

القديس إينوكنديوس (١٧٩٧ – ١٨٧٩) هـو أحد قديسي الكنيسة الـروسيـة. أمضى خمسةً وأربعين سنة من حياته يبشّر الوثنيين في ألاسكا، سبعَ عشرة منها ككاهن، ثم ثمانٍ وعشرين كأسقف إذ رُقّي إلى درجة الأسقفية بعد وفاة زوجته. ألّف كتابًا صغيرًا عنوانه «الطريق إلى ملكوت السموات» يبيّن فيه أن الطريق التي فُتحت بالمعمودية، هي وحدها تؤدي بالتأكيد إلى الفرح الأبدي مع المسيح. أما عن عطايا الروح القدس فيقول:

الروح القدس هو الله، إنه الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس، كلّي القدرة مثل الآب والابن. الروح القدس يحيي المخلوقات، يعطيها روحًا وقوةً. يعطي الحيوانات حياةً والبشر فكرا، أما المسيحيين فيمنحهم حياةً أسمى، حياةً روحية. الـروح الـقـدس يـنير الإنسـان ويساعده ليلج إلى ملكوت السموات. يُعطى لكلٍّ منا ليس نتيجة أعمالنا الصالحة، بل مجانًا وبما يتوافق مع رحمة الله، لخلاص نفوسنا. يبقى السؤال ماذا يعطينا الروح القدس عندما يحلّ فينا؟

عندما يسكن الروح القدس في الإنسان يمنحه الإيمان والاستنارة. بدونه لا يستطيع أحد أن يمتلك إيمانًا حقيقيًا وحيًّا. بدون نوره يبقى الإنسان، مهما ازداد علمه وازدادت حكمته، عديم البصر في ما يتعلّق بأعمال الله وخليقته. يستطيع الروح القدس أن ينير الإنسان الأكثر بساطة والأقل علمًا، مظهرا له أسرار خليقة الله وجاعلاً إياه يتذوّق طيب ملكوته. من يكتسب الروح القدس تستنير روحه بنور غير اعتيادي، بنور كان سابقًا مجهولاً بالكلية.

يولّد الروح القدس في قلب الإنسان المحبة الحقيقية التي تدفئ القلب مثل النار. إنها جذرٌ يُنبت في الـقـلب كـل الأعـمـال الصـالحة. بالنسبة للإنسان الذي يحيا المحبة الحقيقية ليس شيءٌ صعبٌ، مخيف أو مستحيل. لهذا السبب لا وصايا مستحيلة التطبيق. كل شيء يصبح سهلاً وممكنًا. الإيمان الذي ذكرناه سابقًا والمحبة اللذان يمنحهما الروح القدس للإنسان هما أسلحة كبيرة وقوية بين أيدينا. إن امتلكناهما نستطيع بسهولة وراحة وفرح أن نسلك الطريق الذي سلكه المسيح.

كذلك يعطي الروح القدس للإنسان قوة ليقاوم تجارب العالم. من لا يحوي داخله الروح القدس،

أشواكاً واشجاراً، بل أنهار تنير النفس.

ولماذا دعا النعمة الروحية ماءً؟ لأنه من الماء تأخذ جميع الأشياء كيانها: الماء يُنبت النبات ويُحيي الحيوان، لأنه من السماء يهطل ماء المطر وينزل بشكل واحد، ولكنه ينتج أشكالاً كثيرة متنوعة. عين واحدة تروي الفردوس كلّه، ومطر واحد يسقي العالم بأسره، فيجعل الزنبقة بيضاء والوردة حمراء والبنفسج والياسمين أرجوانياً، ويتنوّع بتنوّع الأشكال. وهو في النخلة يختلف عنه في الكرمة وفي كل الأشياء، على أن طبيعته واحدة في حدّ ذاتها. فالمطر هو هو لا ينزل تارة بشكل وطوراً بشكل آخر، ولكنه بتكيّف العناصر التي تتقبّله، فيأتي لكل منها بما يلائمه. هكذا الروح القدس، فهو واحد بسيط لا يتجزّأ، يوزع النعمة على كل واحد كما يشاء. «فإنه لواحدٍ يُعطى بالروح كلامُ حكمةٍ ولآخر كلامُ علمٍ بحسب الروح الواحد. ولآخرَ إيمانٌ بالروح الواحدِ. ولآخرَ مواهبُ شفاءٍ بالروح الواحدِ... لكنَّ هذه كلَّها يعملُها الروحُ الواحدُ بعينه قاسماً لكلِّ واحدٍ بمفرده كما يشاءُ» (١ كور ١٢: ٨–١١).

القديس كيرلس الأورشليمي

مهما كان متعلّمًا وذكياً، يبقى دائمًا أسيرًا ومستعبدًا لهذا العالم.

يمنح الروح القدس الحكمة للإنسان. هذا يظهر جليًا عند الرسل القديسين الذين كانوا قبلاً أشخاصًا أمّيين وبسيطيّ المعرفة، ثم بعد حلول الروح القدس عليهم في العنصرة لم يستطع أحدٌ أن يصمد أمام حكمة أقوالهم وقوّتها. لا يمنح الروح القدس فقط حكمة الكلام للإنسان، بل يمنحه أيضًا حكمةً في أفعاله. من يقتني الروح داخله يجد دومًا الوقت والأسلوب ليعمل من أجل خلاصه، حتى داخل ضجيج العالم واضطراباته.

كذلك يهب الروح القدس الفرح الحقيقي، سعادة القلب والسلام الخالي من الاضطراب. من ليس لديه الروح القدس لا يستطيع أبدًا أن يفرح الفرح الحقيقي، أن يكون شكورًا بصدق، أو أن يشعر بالسلام الذي يفرّح النفس. من الممكن أن يفرح في وقت ما، لكن فرحه يكون مؤقتًا وليس نقيًا. قد يتسلّى، لكن تسلياته هي دائمًا فارغة، لا معنى لها، ثم تسيطر عليه تعاسة أكبر. قد يكون في سلام، لكن سلامه ليس السلام الروحي. إنه نوم روحي. والويل لمن لا يحاول ولا يريد أن يستيقظ من هذا النوم.

التواضع الحقيقي هو من عطايا الروح القدس أيضًا. حتى الإنسان الأكثر معرفة لا يستطيع أن يعرف نفسه كما يجب إن لم يكن يحوي الروح القدس داخله، لأنه بدون مساعدة إلهية، لا يستطيع أن يرى حالة نفسه الواقعية. إن كان إنسانًا يصنع الخير مع أبناء جنسه، قد يعتبر نفسه بارًا بالمقارنة مع غيره، وقد يرى نفسه كاملاً. لكن الروح القدس عندما يسكن فينا، يكشف لنا كل فقرنا وضعفنا الداخلي. ومن بين فضائلنا، يُظهر كل خطايانا، كل إهمالنا وعدم مبالاتنا بخلاص الآخرين، يُظهر أنانيتنا التامة حينما لا نتوقّع ذلك. باختصار، يُرينا الروح القدس كل الأمور كما هي بالحقيقة. عندئذ نفقد ثقتنا بقوّتنا وفضائلنا الشخصية. ونبتدئ باعتبار أنفسنا أسوأ من باقي الناس. وعندما نتّضع أمام يسوع المسيح، نشرع في توبة صادقة وفي الاتكال عليه فقط.

ختامًا يعلّمنا الروح القدس الصلاة الحقيقية. لا يستطيع أحد أن يصلّي صلاة مرضيةً لله قبل أن يقتني الروح القدس. لأنه إن ابتدأ الصلاة دون أن يكون الروح القدس في داخله، لن يكون باستطاعته أن يجمع ذهنه في الصلاة. علاوةً على ذلك، لا يعود يعرف نفسه، ولا حاجاته، ولا كيف يطلب من الله. كذلك لا يعرف الله. أما من لديه الروح القدس فيعرف الله، ويرى أن الله هو أبوه ويعرف كيف يقترب منه، كيف يرجوه وماذا يطلب منه. في الصلاة تكون أفكاره منتظمة، طاهرة، مركّزة في الرب. مثل هذا الإنسان يستطيع بصلاته أن ينجح في كل الأمور، حتى أن ينقل الجبال.

هذه الأمور كلها يمنحها الروح القدس لمن يقتنيه. إذًا من دون مساندة الروح القدس ومعاونته يستحيل علينا أن ندخل ملكوت السموات، لا بل يستحيل أن نلقي نظرة على الطريق التي تؤدي إليه. لذلك من الضروري أن نتوق إلى الروح القدس ونطلبه. من الضروري أن نقتنيه وأن نبقيه دائمًا داخلنا، كما اقتناه الرسل القديسون.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb